الصحة في الواحات

قضيت في الواحات الخارجة والداخلة مدة ولو انها قصيرة الا انها عرفتني عنها امورا هامة يجهلها اكثر وادي النيل فان كثيرين منهم يعتقدون ان السودان افضل منها وان اهلها لا يأكلون الا خبز الشعير والبلح مع اننا رأينا بين مزروعاتها القمح والارز والشعير والذرة والدخن والترمس والاثمار اخصها البلح وهي تحوي الوفا من الحيوانات الداجنة وقد ادخل اهلها الآن اليها جميع ما يزرع في وادي النيل من الخضر والاثمار المستحدثة كالمنجو

مياهها

ينتهي عمران الواحات الى زمن الرومان ولا يزال فيها الى الآن آبار حفروها وعيون ماء تتدفق من ايامهم الى الآن بلا نقصان. وهذه العيون يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كثيراً في مائه فمنه ما حرارته فوق الخمسين ستنغراد عند خروجه من العين ولكنه يبرد سريعاً وهو يستخدم للاستحمام به. ومنه ما يتدفق بحرارة الجو الطبيعية. ومنها ما يستلذ شربه ساعة خروجه من العين لعدم احتوائه على اي طعم كريه ولكن منه ما يحتوي على املاح الحديد والرصاص ولاسيما اوكسيد الحديد وكبريتيد الرصاص فجعلت هذه الاملاح مذاقه كريهاً ورائحته كبريتية ولكن اذا ترك في اناء من الفخار او رشح ذهبت هذه الرائحة منه ورسب اكسيد الحديد على جدران الاناء واصبح ماء زلالاً قراحاً. ووجود الحديد والرصاص في الماء يسبب الامساك المستعصي عند الكثيرين كما سيجيء مع بعض عوارض التسمم من الرصاص كتصلب الشرايين. اما وجود الكبريت في الماء فنافع بدليل قلة الاصابات الروماتزمية سواء كانت عضلية او مفصلية. ومن اهم منافع الاستقاء من العيون والآبار في الواحات منع انتشار الامراض التي تنتقل بالماء الملوث كالتيفويد والكوليرا فقد علمنا ان الكوليرا لم تتفش في الواحات اثناء تفشيها في باقي القطر المصري سنة ١٩٠٢. اما التيفويد فلم نجد اصابات بها اثناء وجودنا وعلمنا من الدكاترة السالفين ان اصابة واحدة فقط حدثت بها وان المصاب جاء بالعدوى من الريف. وكذلك الدوسنطاريا الاميبية فاننا لم نعثر في

دفاتر العيادات على اصابات بها . ولقد زدنا نحن ومن سبقنا من الدكاترة التحفظ والاحتراس لئلا تموت ماء الشرب فجعلنا النساء يستقين من الماء عند خروجه من النبع مباشرة لا من باقي الماء السائل حواليه وضمنا خزانات ماء بحنفيات للشرب فامتنع اذ ذاك تلوث الماء

وتمتاز الواحات الداخلة بان المصاب بالكوليرا من اراضي النيل لا يصل اليها الا بعد انتهاء مدة الحضانة للفرض فاما ان يموت في الطريق او ان يصل سليماً معافى. ولقد كنا ننتظر ان لا نجد دودة في مياه الواحات ولكننا دهشنا لما وجدنا العلق وهو دود الدم فيها. فقد جاءنا رجل ومعه ابنه وعمره ١٢ سنة يشكو من علقة عالقة بلعومه فسألناه عن مصدرها فاجاب انه شرب من جدول ماء في ارض مزروعة ارزاً فدخلت العلقة مع الماء وتعلقت بحلقه وصارت تمتص من دمه وهو يتقيأ دماً فخفضنا لسانه ولحسن حظه وجدناها ظاهرة في مدخل البلعوم فامسكناها بالجفت واخرجناها واعطيناه غرغرة قابضة ومسسنا مكان تعلقها بسائل قطع خروج الدم وبعد يوم اعطيناه مرهماً من الحديد والزرنيخ . ومراجعة دفاتر المعالجة التي عندنا وجدنا ان حادثة كهذه حدثت فيما سبق فاعطى الطبيب المريض كأساً من الزوم فداخت الدودة وتركت حلقه فتقيأها. وعلمت من الاهالي ان علق الدم ينتشر فقط في ايام زراعة الارز حين تكون الاراضي مغمورة بالمياه

ولم نجد في مستنقعات الواحات وفي جداول مياهها اصدافاً من الانواع المعروفة في باقي القطر لاسيما ما يأوي شرانق البلهارسيا فاستنتجنا ان لا وجود للبلهارسيا في الواحات . وقد شاهدنا بعض اصابات خاصة بالبول والمثانة فلم نجد فيها البلهارسيا وشاهدنا اصابات حصاة لم تكن مسببة عن البلهارسيا

تربتها

تختلف تربة الواحات اختلافاً كثيراً عن تربة وادي النيل اذ وجدنا فيها انواعاً من املاح المعادن كاوكسيد الرصاص والحديد المعروف بالمغرة والشحيرة والشب وملحاً يشبه الملح الانجليزي فعلاً والملح العادي المعروف بملح الطعام الجبلي وغيرها مما لم يكتشف بعد . هذا وتعدد الاملاح في الارض هو الذي غير طبيعة المياه . وسخونة الماء طبعاً نتيجة تفاعل كيماوي في بطن الارض

امراضها عامة

كانت الصحة في الواحات قبل هذه الحرب احسن حالاً منها الآن وذلك ناتج عما ادخلهُ جيش السنوسي معهُ الى الواحات الداخلة من الزهري والامراض الجلدية كالاكذيما المزمنة والقرع وقمل الرأس والجسم والعانة . ودرجات الزهري التي رأيناها هي الاولى والثانية ولم نرَ اصابات عصبية ناتجة عنهُ ويمكن تعليل ذلك بعدم اقامة جيش السنوسي طويلاً في الواحات

عادات اهلها

من عادات اهل الواحات ما كان سبباً في اضعاف صحتهم فقد اعتادوا شرب الشاي بكميات كبيرة ثقيلة حتى ترى لونهُ كلون صبغة اليود. نعم ان شرب الشاي يكسر من شوكة العطش في بلد حار كهذا لكنهم يشربونهُ سخناً جداً وهذا مما يبعث على الظن بتعدد القروح المعدية كما يحصل للطباخين والخبازين الذين يأكلون الطعام والخبز السخن فانهُ يقال ان سبب القرحة السخونة الشديدة التي تؤثر في شرايين المعدة الدقيقة فتسبب تخثراً في الدم ثم قرحة. وكم من مرة عالجت اشخاصاً يشكون مرّ الشكوى من معدهم ومن اعراض تشبه اعراض القروح المعدية فكنت اخفف آلامهم باعطائهم القلويات كبيكربونات الصودا وكربونات المانيزيا والبزموت والراوند . ومما يساعد على عسر الهضم عندهم شربهم الشاي بعد الاكل مباشرة فان التنين الذي في الشاي يتحد بالمادة البروتينية في الطعام ويعسّر هضمها . وكثرة شربهم الشاي عادة مسببة عن اعتقادهم بانهُ شافٍ للملاريا

اشجارها

تنمو في اراضي الواحات اشجار كبيرة تصلح لتوقود منها خشب السنط والاثل والسيسبان وقد اهتم بعض التجار بعمل الفحم من هذه الاخشاب فنجحوا واكثر الفحم البلدي الموجود الآن في بلاد مصر من الواحات . وتنبت ايضاً بعض نباتات طبية كالسكران والحنظل والسنامكي . ويجمع الصمغ العربي من جذوع شجر السنط والمشمش ولا يتاجر الاهالي الاّ بالسكران وهو نبات البنج وقليل من الحنظل وقد كان موسم السكران قبل الحرب كبيراً اذ كان يصدر لالمانيا فلما اتت الحرب امتنع تصديرهُ لالمانيا وصار يصدر الآن بكميات اقل الى انجلترا. والسنامكي الموجودة من النوع الاسكندري . اما الصمغ العربي فمنهُ الابيض

والاصفر ولكن الاهالي لم يهتموا بتصديره للآن . وقد جاء بعض التجار يزرر الدانورة لتزرعه في الواحات. ومع كثرة وجود الكمثرا فان حالات التسمم بثمره قليلة جداً لعلم الاهالي بضرره ولعدم ميلهم الى الاعمال الجنائية ومنهم من استعمله في سم الكلاب فنجح

حشرات

الحشرات في الواحات متعددة كما في وادي النيل ومنها الناموس بنوعيه الانوفيليس ناقل الملاريا والكوليكس وحشرة كالجراد محجمة الرأس تأكل الناموس والذباب. ثم البرص تأكل الذباب والعقرب ثم عدو الشمس وهو حيوان يشبه العقرب اصفر اللون طويل الارجل متعدد ها يقتل العقرب قتلاً وقد يقتله الاهالي خطأ كالعقرب . اما الحيوانات المائية فهي الضفادع وذوات الاصداف وخنفسة الماء وغيرها . وهذه جميعها عرفت بعد فحص المستر ستوري المفتش بوزارة الزراعة الذي اتى خصيصاً الى الواحات للبحث في ركن من انواع الحشرات المائية . وماء برك الواحات لا يدوم طويلاً بل يجف صيفاً وقد حاولوا تربية الاسماك فيها كي تأكل الناموس فأتي بكمية منها في فناطيس ماء ولكن اتى الصيف وجفت المستنقعات ومات السمك ولم تفلح التجربة . واني ارى تربية الضفادع وزيادة الموجود منها افيد لقتل الناموس لانها عاشت مدة في الواحات ولم تتلاشَ . ولكن ما دام كل الواحيين وتراخيهم يجعلانهم يتركون ماء النبع يركد في البقع المنخفضة ويمنعانهم عن مساعدة الحكومة في ردم المستنقعات فالناموس سيبقى الى ما شاءالله والملاريا تبقى في الواحات

العقارب

ان الوفيات من لسع العقرب قليلة جداً في الواحات وهذا نتيجة سرعة المعالجة نهاراً وليلاً ساعة الاصابة او بعدها بدقائق قليلة وترى الاهالي يقصدونك حتى في نصف الليل فتغسل طرف التشريط بمنجنات البوتاس او النشادر وتعطيهم الحقنة المضادة للسم ومزيجاً يحوي النشادر والاثير فيذهب ألم اللسعة بعد اثنتي عشرة ساعة تقريباً . وموسم العقرب يبتدىء من ابريل وينتهي في اغسطس على الغالب ولم نرَ الى الآن مضاعفات ولا تأثيراً في القلب والدم من سم العقرب . اما الوفيات فيغلب ان تكون في احدى الغرب او البلاد البعيدة عن مكتب الصحة

ولذا سنسعى في وضع حقنة ومصل عند كل حلاق صحة في البلاد المختلفة حتى يستطيع درء شر السم بنفسه بالتدرب على استعمال الحقنة . وقد عملنا احصائية عن المتوفين من لسع العقرب في بلاد الواحات الداخلة المختلفة فوجدناها حوالي احدى عشرة اصابة اغلبها في من كانت اعمارهم لا تزيد عن عشر سنين . والامل ان وجود الحقن عند الحلاقين سيقلل هذا العدد كثيراً

الذباب

الذباب في الواحات كثير الانتشار جداً لا سيما في اشهر الصيف وموسم البلح ولما كان ينقل الرمد بانواعه فلذلك كان سبباً في فقدان كثيرين لبصرهم ولكنه لا يلسع كالناموس او كالذباب الذي وجدناه مرة في محطة القطرة في طريقنا الى العريش .ولا يبعد ان يكون هذا الاخير من النوع الناقل لحمى الثلاثة ايام او حمى ذباب الرمل . ولا بأس ان نقول هنا كلمة عن هذا الناموس فقد تكون لسعته شديدة تفضي الى عملية جراحية . رأيت يونانياً يشكو من تورم في احدى اصابعه وقد التهبت انسجة ساعده وصعد الورم الى ابطه وكان ذلك نتيجة لسع الناموس .وانتهى الامر بعد عمل المكمدات الساخنة بخراج فتح فاخرج صديداً . والغالب ان تكون مادة التعفن قد نقلتها الناموسة بخرطومها ومن العادة عند قتل الناموسة وهي تخز الجسم بخرطومها ان يبقى جزء من الخرطوم داخل الجلد فيورث الالم الشديد

وقد وجدنا الارضة في الداخلة وتسمى هنا القراضة وهي كالنمل الكبير صفراء الرأس بيضاء الجسم تبيض في الطين ومتى اتى الماء على الطين تفتت ولذا وجدناها كثيراً في المنازل حيث يكثر الماء وهي شديدة الخطر لانها تأكل الاخشاب والملابس وقد رأينا ان النفتالين افاد كثيراً في منعها من الملابس ومحاولة منع من السليماني منع فقسها من الطين

الخمر

الخمر في الواحات صنفان الصنف الاول العرق المستخرج من البلح والتمر والثاني « اللاكي » وطريقة عمله هي ان تقطع غصان النخلة الخضراء وتحفر حفرة صغيرة في اعلى النخلة فيتجمع فيها سائل حمو ناتج من العصارة الصاعدة في جذع النخلة الى اغصانها فتشقق جوانب هذه البقعة وتدلى من كل شق قلة صغيرة يتساقط

فيها النساء وهو حار المذاق قبل الاختمار . وبعده يصير كالعرق الا انهُ اخف فعلاً . وقد اعتاد بعض الاهالي تكرير العرق مرتين بزيادة كمية البلح المستخرج منهُ فتصبح نسبة الالكحول الذي فيه ٦٠ في المائة وقد رأى ان شربهُ بدون ان يمزج بالماء يضرُّ المعدة وهو من اسباب الالتهاب المعدي الحاد او المزمن الذي يشكو منهُ كثيرون

الامراض خاصة

ونلتفت الآن الى ذكر الامراض التي وجدناها منتشرة في الواحات ومما تجدر الاشارة اليهِ ان الامراض مرتبطة ارتباطاً تامّاً بحالة البلاد المذكورة آنفاً وان قلما تعالج الامراض النسائية لان النساء يأنفن كشف الاطباء عنهنّ ولا يؤتى لنا بحوادث الولادة الاَّ المتعسرة التي عجزت القابلة عنها. والامراض السرية في النساء قليلة لم تظهر الاَّ بعد رحيل جيش السنوسي عن البلاد اما في الرجال فقليلة ايضاً اغلبها في من اتوا من بلاد النيل . وقد استعملنا الادوية اللازمة للسيلان والزهري

اغلب الامراض الجراحية نتيجة حوادث او عوارض كحادثة خلع الترقوة من الجهة الوحشية ولم نرَ من حوادث تدرن العظام الاَّ حادثة واحدة ظهرت بخراج بارد في ظهر رجل كان نتيجة تدرن احدى اضلاعهِ. ووجدنا حادثة تختثر في احد اوردة الفخذ لا يبعد ان تكون نتيجة حمى الملاريا وقد زال الورم بعمل المكمدات الساخنة ووجدنا اصابة تختثر اخرى كانت نتيجة رضّ حصان فشفيت بالمكمدات الساخنة

تكثر الامراض الجلدية والرمدية في الواحات لوساخة الاهالي وكثرة الوسائط الناقلة للعدوى ومعظم امراض العينين التهابية تشمل الجفون والملتحمة اما الامراض الجلدية فتوجد على انواعها استعملنا لها مراهم النفتالين — فكان بفائدة كبيرة

الحميات

بقي ان نأتي على الامراض الباطنية والحميات المعدية : نحو التسعين في المائة من المرضى المترددين الى مكتب الصحة يشكون من الامراض الباطنية ومعظمها نتيجة حالة البلاد والغذاء والطعام ومنها ما هو نتيجة الحمى المحلية في البلاد . ومن الامراض ما يحق ان يقال ان لا وجود لهُ في الواحات وهو الامراض الصدرية كالتدرن الرئوي او المفصلية الروماتزمية واذا وجدت حادثة صدرية كانت نتيجة

حمى الملاريا . مثال ذلك اننا وجدنا مرة حادثة التهاب بلوري كانت مضاعفة لحمى الملاريا وقد شفيت بعد تعاطي الكينا وعمل الحجامة ودهان اليود واستخراج كاسات الهواء فوق مكان الالتهاب البلوري واعطاء المريض بعض الادوية الصدرية . ووجدنا حادثة التهاب شعبي حاد نتيجة الملاريا ايضاً وقد شفي المصاب تماماً بالعلاج

وامراض المعدة والامعاء معظمها التهابية نتيجة شرب الخمر والشاي والماء ومنها ما هو نتيجة الحمى الملارية كبعض حوادث القيء والتهوع في الصباح فانها من ضمن مضاعفات الملاريا

ينتاب البلاد كل شتاء تقريباً حمى التيفوس وقد تنتابها صيفاً كما حصل هذا العام فانها ظهرت في ابريل وزالت في يونيه وقد كان مجموع المصابين حوالي ٣٥ نفساً توفي منهم اربعة اي بنسبة ١٢ ٪ ويمكننا ان نعتبرها محلية في الواحات لانها تكمن في اشهر الشتاء ثم تظهر بدون ان نرى احداً من المرضى قد أتى بالعدوى من بلاد النيل . وقد كانت الاحتياطات ووسائل مكافحة المرض قليلة قبل ايام السنوسي وفي ايامه فلما رجعت البلاد الى الحكومة المصرية وأتى اطباء مصلحة الحدود جهزت البلاد بوسائل المكافحة الاحتياطية وسهل على الاطباء حصر المرض في القرى التي يظهر فيها فقط . وقد لاحظت ان معظم المصابين من متوسطي الاعمار ذوي الصحة القوية وان مبدأ ظهور المرض يكون في المنازل القذرة المزدحمة بسكانها وكانت الوفيات في اواخر الاسبوع الثاني ومضاعفاتها قليلة

الملاريا

حمى الملاريا ويجدر ان تسمى حمى المستنقعات او حمى البعوض هي الحمى المحلية في بلاد الواحات والتي استدمت انفاق مئات الجنيهات سنوياً في مكافحتها وشفائها بالكينا وانما يجدر تسميتها بحمى المستنقعات لان هذه كثيرة في الواحات ومعظمها ناتج من تسرب مياه العيون شتاء ومياه الارز صيفاً وقد كانت شديدة الوطأة كثيراً فيما مضى ولكن استخدام المصارف في الواحات الخارجة قلل المستنقعات وقلت معها الحمى كما لاحظنا ذلك . ويا حبذا لو ابطلت زراعة الارز في الواحات واستبدلت بزراعة الذرة والعدس والفول مكانها فتزول المستنقعات تقريباً وتخف وطأة الملاريا كثيراً

ورأينا في الواحات مئتين فقط للحمى وعملنا احصائية عن خمسة اشهر مضت فوجدنا ان الحمى اليومية تأتي بنسبة ٤٥ ٪ والثلاثية بنسبة ٥٥ ٪ ولم نر حادثة من حوادث الحمى المستمرة ولا من الرباعية . والحوادث المذكورة في هذه الاشهر من سنين مختلفة ومعظمها ان لم نقل كلها بين المزارعين الذين يعملون في المزروعات والمياه ومنهم من ظهرت الحمى فيهم مرة واحدة . ومنهم من تكررت فيهم الاصابة ونسميها حمى ملاريا راجعة . ولا يمكننا معرفة وقت الحضانة بالضبط لان موظفي الحكومة الذين يعطون الكينا للوقاية يأخذونها عند وصولهم مباشرة ولذا تمتنع عنهم الحمى ولا يمكننا معرفة هذا الوقت . اما اعراض الحمى وهي البرد ثم الحرارة ثم العرق فلا يمكننا التعويل عليها كثيراً لان من المرضى من يشكون فقط حرارة بلا برد او عرق ومنهم من يشكون البرد والرعشة فقط وتستمر هذه الاعراض اوقاتاً مختلفة ومعظمها يصيب المرضى صباحاً ومنها ما يصيبهم مساء وتنتهي قبل النوم وقد تتقدم او تتأخر هذه الاعراض يوماً فبعد ان يحم المريض عصراً يحم ثاني يوم ظهراً او مساءً وهكذا

والظاهر لنا ان معظم الاهالي اصيبوا بهذه الحمى بداءي اصفرار وجوههم والانيميا الشديدة الظاهرة على جميعهم ولكن مع ذلك فالوفيات تكاد تكون معدومة بهذه الحمى

وقد بحثنا في تأثير الحمى في الاطفال وعملنا احصائية في الخارجة والداخلة فوجدنا ان الاطفال يتضخم في معظم اطفال هذه البلاد نتيجة الحمى

تأثير الملاريا

ان الانيميا وفقر الدم الشديدين اللذين يظهران في اهالي الواحات ليسا من الجنس الكلوروزي او الاخضر بل من الانيميا الشديدة المسببة لاصفرار الوجه والنشرة كاليرقان الدموي الاصلي . وقد وجدنا اصابات يرقان واوذيما في الارجل نتيجة الانيميا الشديدة ولم نتمكن من فحص عينات من الدم لمعرفة تأثيرها في كرياته ولكن تأثيرها في هذه كان اميل الى التخثر منه الى تكسرها بدليل اننا لم نر حوادث زلف أو بول دموي (حمى الماء السوداء) . وقد رأينا مضاعفات كثيرة للملاريا كالالتهابات المعدية والمعوية المصحوبة باسهال او امساك والالتهابات الصمية والرئوية المصحوبة بسائل في البلورا ورأينا حادثة واحدة من حوادث

انتاب الآلاي عشري نتيجة قرحة في جبارم وكانت المريضة تشكو قبلاً من حمى ملارية شديدة مصحوبة بضعف زائد (الملاريا الخبيثة) والحرارة اقل من الطبيعية وكانت مصابة بقيء وحبس بول وبعدئذ زادت حالتها شدة بقيء دموي وظهرت عليها علامات التهاب بريتوني حاد وتوفيت بعد ذلك بيومين . ورأينا اصابة ملاريا مصحوبة بسبات نتيجة تخثر في أحد شرايين المخ . شكت المريضة اولاً من الم في رأسها وصداع ودوي في الاذنين مع اعراض الملاريا (البرد والسخونة والعرق) وبعدئذ فقدت شعورها وكانت متقاة على ظهرها تهذي نوعاً . تنفسها سريع بصوت . اللسان ابيض متسخ لا ينفعل بالنور واعضاؤها مرتخية مع ظهور بعض تشنجات فيها وبقيت على هذه الحالة يومين وماتت بعد ذلك

والمعالجة المتبعة في هذه البلاد لا تخرج عن الكينا بتنوع وسائل اعطائها من مزيج واقراص وحبوب وحقن جلدية وتعطى جميعاً مجاناً في مدة الحرب بمعرفة مصلحة اقسام الحدود وهي اما وقائية او شفائية فالوقائية تعطى لجميع موظفي الحكومة في الواحات فقط وهي مقدار ٣ جم تعطى على ثلاثة ايام في الاسبوع فقط . وقد وجدنا هذا المقدار كافياً لمنع الحمى فتعطى قرص حلوة صنع Burrough & Wellcome كل قرص ٠٫٣ جم اما الشفائية فتعطى بمقدار ٢ جم يومياً مدة خمسة عشر يوماً ثم ١ جم يومياً مدة عشرة ايام اخرى ولا تستمر المعالجة يومين او ثلاثة حتى تقف الحمى . وهذه المعالجة بالكينا مستمرة على مدار السنة اذ في الشتاء تكون البرك والمستنقعات وفي الصيف تكون زراعة الارز بكثرة مائها ولذا فالحمى تعتبر محلية مستمرة الا انها تختلف بين وقت وآخر . وفوق استعمال الكينا نعطي مزيجاً من الحديد والزرنيخ في الاحوال الشديدة من الانيميا . وبالجملة فان العمل القائم الآن في الواحات من مكافحة حمى الملاريا ومعالجتها قد اخذ تأثيره يظهر بدليل قلة المرضى في الخارجة هذه الاشهر بعد ردم المستنقعات . وسنشرع في اعطاء الخلاقين في جميع البلاد المختلفة مقداراً كافياً من الكينا لاستعمالها شفائياً في اصابات الملاريا التي تظهر في بلادهم

الداخلة في ٥ اكتوبر ١٩١٨ الدكتور عثمان بطرس نجار
الطبيب بمصلحة اقسام الحدود